**تفسير الآيات من (117 – 126)، فعل الشيطان بأتباعه**

بحث فى علم التفسير

إعداد / عادل محمد فتحي

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

**adel.mater@mediu.edu.my**

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى فعل الشيطان بأتباعه**

**الكلمات المفتاحية – الشيطان، اتباعه، فعل**

* **.المقدمة**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة فعل الشيطان بأتباعه**

* **.عنوان المقال**

**ما زلنا مع الآيات في سورة (النساء) تلك التي تتحدث عن الشرك والمشركين، وما فعل الشيطان بأتباعه إذ قادهم لهذا البلاء الشديد، ونقلهم من الإيمان إلى الكفر، ومن الهدى إلى الضلال؛ ولذلك قال ربنا: { ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ} [النساء: 117- 119].**

**{ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ} هذا الشيطان المريد المتمرد الخارج عن طاعة الله  هذا الشيطان المريد هو الذي استطاع أن يخرجهم من حظيرة التوحيد ومن نور الحق إلى ما هم عليه من الإشراك والباطل والضلال، وما إلى ذلك مما يتبع الإشراك بالله. وقد ذكر الله -عز و جل- شيئًا من ذلك في كتابه، وبين أن الشيطان هو الذي أضلهم، وأنهم حين يعبدون إنما يعبدون الشيطان في الحقيقة؛ ولهذا نجد في القرآن قول الله تعالى: {ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ} [يس: 60، 61].**

**وأيضًا، نقرأ في كتاب الله تلك المحاورة بين هؤلاء المشركين وبين الملائكة في موقف بين يدي الله ؛ ذلكم حيث يقول ربنا: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ} [سـبأ: 40- 42] إذن فهؤلاء يعبدون الشيطان.**

**الأمر الثاني: أنك تلمح استعمال الفعل المضارع: {ﮡ} في الجزءين؛ مما يدل على أن هذا الدعاء كان ديدنًا لهم وعادة وعبادة، وأمرًا يتكرر بتكرر قدومهم على هذه الأصنام ليعبدوها.**

**وقد وصف الله الشيطان بأنه مريد، وهذه صفة يجب على بني الإنسان أن يفهموها وأن يدركوها؛ لأن هذا الشيطان قد عصى ربه معصية عظيمة خرج بها عن طاعة الله  فقوله: {ﮤ} والمريد: هو الذي بلغ الغاية في الشر والفساد. وليس هناك أعظم من الشيطان في هذا الأمر؛ فهو رأس العصاة ورأس المجرمين.**

**فهذا إذن وصف للشيطان بأنه بلغ الغاية في الشر، وبلغ الغاية في التمرد، وبلغ الغاية في السوء، يجمع ذلك هذا الوصف الذي يقول الله فيه في هذا الموضع: {ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ} ونحن نتساءل: ماذا كان من أمر هذا الشيطان مع رب العزة والجلال ومع الإنسان؟**

**مع الله  صدر الأمر من الله بإبعاده وطرده؛ ذلكم حيث يقول الله هنا: {ﮦ ﮧ} اللعن هو الطرد والإبعاد، والآيات في هذا كما نرى كثيرة، تقرأ منها قول الله تعالى في سورة (ص): {ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ} [ص: 77، 78] فهذا إذن ملعون مطرود آيس من رحمة الله .**

**{ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ} هذا الذي ذكره في هذا المقام أفصح فيه عن عداوته لآدم # ولأبنائه، فماذا في ذلك؟**

**نصيب الشيطان من عباد الله:**

**رأينا إذن ما كان من أمر الله مع هذا اللعين، وأن الله  غضب عليه ولعنه وطرده من رحمته، فكان أن أفصح عن عداوته ولم يستطع أن يخفيها. والله  حين يذكر لنا ذلك يحذرنا في الحقيقة من كيد هذا اللعين، فمما قال ما نراه في السورة التي معنا سورة (النساء) يقسم هذا اللعين بين يدي رب العزة والجلال بهذه الكلمات التي تحمل الحقد والحسد، فيقول: {ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ} هذه كما ترى أمور خمسة أقسم عليها، وأخذ في تنفيذها، ووصل إلى الكثير مما عقد العزم عليه، اختبارًا لبني الإنسان؛ لأن الله  له الحكمة البالغة في ذلك؛ إذ جعل هذا الشيطان مسلطًا هكذا على بني الإنسان، وإلا لكان الناس كالملائكة لا يعرفون المعصية، فهذا من حكمة الإله الحكيم. وهنا يظهر الإنسان التقي النقي الواثق بالله رب العالمين، الذي يلوذ بربه آناء الليل وأطراف النهار، لا يغفل عن ذكره أبدًا ولو للحظة واحدة في حياته، ما دام مستيقظًا ليدفع عن نفسه كيد هذا الشيطان الذي لا يراه: {ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ}.**

**فلننظر أيها الأحبة في هذه الأمور التي أقسم عليها، ووصل فيها إلى ما يريد:**

**الأمر الأول: قوله: {ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ}:**

**أي: نصيبًا مقطوعًا معلومًا قد يصل إلى عدد هائل من هؤلاء الناس؛ ولذلك قال قتادة: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، وهؤلاء حزب الشيطان وأتباعه، وهم في النار، وواحد في الجنة. فنسأل الله السلامة والعافية.**

**وقد أخرج الإمام مسلم بسنده عن رسول الله  أن الله  يقول لآدم يوم القيامة: «أخرج من ذريتك بعث النار، فيقول: يا ربي، وما بعث النار؟ فيقول الله تعالى: أخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون»، فعند ذلك تشيب الأطفال من شدة الهول إذن فقوله: {ﮭ ﮮ} هذا التنكير يفيد كثرة هذا النصيب وعظم هذا النصيب، وأن هذا النصيب معلوم مفروض سوف يتخذه هذا الشيطان.**

**وانظر إلى قوله: {ﮪ} فهذا يعني أنه سيبذل قصارى جهده حتى يأخذ هذا النصيب من بني آدم؛ ولذلك ورد أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وأنه إذا ذكر الإنسان ربه خنس هذا الشيطان، وإذا غفل وسوس.**

**ولنقرأ سورة (الناس) هذا الذي وصفه الله به في قوله: {ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅ ﮆ ﮇﮈ ﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﮗ ﮘ} [الناس: 1- 6] فهو خناس كثير الرجوع إذا ما وجد أهل الذكر يذكرون، فإذا غفلوا ألقى شبهاته وأوهامه ووساوسه بطريقة لا يعلمها إلا الله رب العالمين.**

**الأمر الثاني: ما جاء في قوله: {ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ}:**

**1. {ﮰ} عن الحق، عن الطريق، عن الإسلام، عن الخير، عن كل ما فيه منفعة لهذا الإنسان، وعن كل ما يقربهم إلى الله .**

**وانظر إلى اختياره لكلمة الإضلال؛ لأن الإضلال -كما ذكرنا- معناه أن شيئًا اختلط بشيء آخر فلم يعد لهذا الشيء من أثر، كما قلنا بأن اللبن ضل في الماء فلم يعد له أثر. وهذا هو الذي يريده الشيطان، يريد أن يأخذ الإنسان بعيدًا عن الطريق الصحيح والصراط المستقيم؛ ليذهب به إلى سبل ملتوية مظلمة كئيبة؛ حتى يضل هذا الإنسان؛ وحتى لا يستطيع أن يعود مرة أخرى؛ لكثرة ما سلك من هذه السبل لا يستطيع أن يعود إلى طريقه الأول، طريق الرشاد والسداد، طريق الإسلام والقرآن ومحمد ، ويقسم على ذلك هذا القسم {ﮰ}.**

**2.{ﮱ}: أي: أزين لهم ترك التوبة، وألقي بين أيديهم بالأماني، وكلما همّ الواحد منهم بالتوبة والرجوع إلى الله  زين له التسويف والتأخير، ووسوس له، وقال له: بقي في العمر بقية؛ انتظر إلى الغد، انتظر إلى ما بعد الغد، وهكذا يسوِّف ويؤخر؛ لأنه غارق بوسوسة هذا الشيطان في الشهوات والمعاصي، والشهوات محبوبات إلى النفس، يمني الإنسان بفعل هذا الشيطان نفسه ليعب من هذه الشهوات، فيركن إلى الدعة والسكون والشهوة والغفلة: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات» فهذا هو ما يفعله الشيطان بالناس حين يمنيهم الأماني الكاذبة، ويجعلهم يسوِّفون ويؤخرون الإقبال على الله  والركون إلى الله  وأن يأخذوا بالهمة والعزيمة؛ حتى يستطيعوا أن يصلحوا ما فات، وحتى يكونوا على استعداد إلى ما بعد الممات.**

**3.{ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ} وأمر هؤلاء بأن يبتكن آذان الأنعام، معناها أنه سوف يجعلهم ينحرفون في تقربهم إلى الله تعالى، بل ويجعلهم يخترعون في أنعامهم أشياء يلصقونها بالدين وليست من دين الله في شيء، وقد فعل العرب قبل الإسلام شيئًا من ذلك؛ استجابة لهذه الوسوسة، ولما أراد الشيطان منهم، فاخترعوا ما يسمى: بـ"البحيرة" و"السائبة" و"الوصيلة" و"الحام" ولذلك يقول ربنا: {ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ} [المائدة: 103]. فماذا تعني هذه الأمور التي ذكرناها والتي يجمعها قول الله تعالى: {ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ}؟**

**خلاصتها: أنهم يشقون آذان هذه الأنعام، ويجعلون هذا الشق علامة على شيء معين، هو ما ذكرناه الآن من أن هذا يسمى: بحيرة، وما إلى ذلك مما ذكرناه.**

**ولنستمع إلى ما رواه البخاري بسنده عن سعيد بن المسيب، وهو يذكر لنا معاني هذه الأمور فيقول: "البحيرة" التي يمنح درها للطواغيت -أي للآلهة- فلا يحلبها أحد من الناس، و"السائبة" كانوا يسيبونها لآلهتهم -أي يتركونها فلا يحمل شيء- و"الوصيلة" الناقة البكر، تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى، ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم -أي لآلهتهم- إن وصلت إحداهما بأخرى ليس بينهما ذكر، و"الحام" فحل الإبل يضرب أضراب المعدود، وهو الفحل يولد لولد ولده، فتقول العرب بأنه قد حمى ظهره، فلا يركب ولا يستعمل، ولا يطرد عن مرعى ولا ماء ولا شجر، فهذا هو "الحام" وهو من جملة اختراعات هؤلاء المشركين. من الذي شرع لهم هذا؟ ومن الذي جعل هذا دينًا لهم؟ هذا كله مما وسوس به الشيطان لهم، وحقق به مراده حين قال: {ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ}.**

**4. {ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ} هذا التغيير لخلق الله يشمل أمورًا ذكر المفسرون والسلف بعضًا منها، ومن ذلك: أن هذا التغيير إنما هو تغيير لدين الله، يدل على ذلك قوله تعالى: {ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ} [الروم: 30].**

**5. {ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ} أي: لأمرنهم بأن يغيروا، فهم سيستجيبون لهذا التغيير، وسيغيرون خلق الله.**

**ماذا يراد بخلق الله الذي يغيره الناس انطلاقًا من وحي الشيطان إليهم، وتسويله ووسوسته لهم؟.**

**هذا الخلق هو ما عليه الإنسان من فطرة نقية طاهرة متدينة تعرف رب العزة والجلال، يأتي الشيطان ليغير هذه الخلقة بما يلقي فيها من الشبهات، وفي هذا قول الله تعالى في سورة (الروم): {ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ} [الروم: 30] أي: لا تبدلوا خلق الله ودعوا الناس على فطرتهم، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة > قال: قال رسول الله : «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء، هل تجدون فيها من جدعاء؟!» وأيضًا في الحديث الذي رواه الإمام مسلم قال: قال رسول الله : «قال الله : إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم».**

**هذا، إذن واحد من الآراء في أن خلق الله هو ما خلق عليه الإنسان من الفطرة النقية، الصالحة للخير وللشر، ولو تركت وما هي عليه لاعترفت بالله ربًّا.**

**وهناك أيضًا من قال: بأن تغيير خلق الله يكون بما يعرف من الوشم، وفي (صحيح مسلم) عن ابن مسعود أنه قال: «لعن الله الواشمات، والمستوشمات، والنامصات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله » ثم قال -أي ابن مسعود-: "ألا ألعن من لعن رسول الله  وهو في كتاب الله " يعنى: قوله تعالى: {ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ} [الحشر: 7] إلى غير ذلك.**

**لكن كلمة: {ﯘ ﯙ ﯚ} أوسع من مجرد الوشم، أو ما إلى ذلك مما يحصل في الدواب، والتي ذكرنا منها في قول الله تعالى: {ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ} فهذا أيضًا من تغيير خلق الله في الأنعام. وهناك أيضًا من يغيرون خلق الله في أشكالهم وألوانهم، وفيما نراه من إجراء عمليات تسمى بعمليات التجميل، يغيرون فيها خلق الله دون داعٍ طبي يدعو إلى هذا، فهذا كله من وحي الشيطان لتظهر الواحدة جميلة المنظر، وهي بذلك لم تصنع سوى أنها غيرت خلق الله.**

**فهذا كله من فعل الشيطان وأمره لمن أطاعه؛ ولهذا جاء التعقيب على هذا الذي قاله وأقسم عليه هذا اللعين، جاء هذا التعقيب بقول الله تعالى: {ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ} فانظر معي -رحمك الله- إلى هذا الختام وإلى هذا التعقيب في قول الله تعالى: {ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ} وقلنا بأن الولي هو من تواليه ويواليك بالمحبة والنصرة، فهؤلاء أحبوا الشيطان بما وسوس به إليهم، وزينه إليهم، وقربه من أنفسهم وقلوبهم وعقولهم، فمالوا إليه، فأحبوا ما دلهم عليه؛ لأنه تلاعب بشيء خطير في هذا الإنسان، ألا وهو حب البقاء، وحب الذكر، وحب الثناء، ومن هذا الباب دخل ليزين لهذا الإنسان أن يصنع في نفسه ما يصنع، أو أن يصنع في هذه المخلوقات ما يصنع، أو أن ينحرف عن طريق الله لغرض من أغراض الدنيا؛ حبًّا في الظهور وطلبًا للذكر والثناء؛ أو طلبًا للبقاء يظنه في مال، وفي متاع من متاع الدنيا الذي قال الله فيه بأنه متاع قليل.**

**ومن فعل ذلك: {ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ} [النساء: 119] تاركًا ولايته لله رب العالمين، وحبه لما جاء به رسول الله  فهذا الإنسان الذي لم يفهم هذه الحقيقة، ولم يدرك هذا الأمر على وجه الإدراك الصحيح سوف يؤدي به ذلك إلى أن يخسر خسارة محققة لا شك فيها؛ وما ذلك إلا لأنك لو نظرت لوجدت أن من اتخذ الشيطان له وليًّا وسلك سبيله، فانغمس في الملذات والشهوات... ماذا جنى؟ وماذا حصَّل؟ إنه لم يحصل في هذه الدنيا سوى لحظات، ظنها لحظات جيدة مليئة بالمتعة، ولكن ماذا بعد؟ إنه بعد هذه المتعة التي هي عبارة عن لحظات تمضي وتمر، هناك الحسرات والأحزان والآلام والدموع والشقاء؛ حيث يفاجئه الموت، فيرحل عن هذه الدنيا إلى حيث الآخرة؛ ليحاسب عما قدَّم وأخَّر.**

**فماذا جنى حين اتبع الشيطان واتخذه وليًّا؟ إنه لم يحصِّل شيئًا نافعًا، ولكنه خرج من سوق الحياة وقد خسر حياته، وخسر مستقبله الأبدي، وخسر البقاء الأزلي في جنات النعيم، وباء بالخسران المبين، كما قال ربنا: {ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ} ولذلك يقول بعض الأئمة: {ﯤ ﯥ ﯦ} أي: بتضييع رأس ماله الفطري؛ وذلك لأن طاعة الله تفيد المنافع الدائمة الخالصة عن شوائب الضرر، وطاعة الشيطان تفيد المنافع القليلة المنغصة المشوبة بالغموم والأحزان، ويعقبها العذاب الأليم، وهذا هو الخسران المطلق. {ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ} لأن هذا أمر بيِّن واضح؛ إذ إن مصير هذا إلى النار، وبئس القرار، وبئس المصير.**

**المراجع والمصادر**

1. **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (تفسير القرآن العظيم) دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
2. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار الكتاب العربي، 1999م.**
3. **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) بيروت، دار الفكر، 1995م.**
4. [**أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي**](http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=13149)**، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، 2001م**
5. **الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، (البحر المحيط) دار الكتب العلمية، 2001م.**
6. **أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (فتح البيان في مقاصد القرآن) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، 1989م**
7. **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (الكشاف) دار الكتب العلمية، 2003م**
8. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1997م**
9. **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي, (روح المعاني) دار الكتب العلمية، 2001م**
10. **الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، 1994م**
11. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دار ابن الجوزي، 1994م**
12. **الغرناطي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م.**